مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة السادسة- العدد الثاني عشر

شعبان ١٤٤٢هـ- آذار ٢٠٢١م

معيار الحبك في خطب نهج البلاغة
-الخطبة الشقشقية مثالًا-

the Coherence Standard in Nahj AlBalagha speeches –Al Shaqshaqiya Speech as an example –

م. أبهر هادي محمد

كلية التربية الأساسية

جامعة المثنى

Teacher. Dazzled Hadi Muhammad

College of Basic Education

University of Muthanna

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ «معيار الحبك في خطب نهج البلاغة -الخطبة الشقشقية مثالا-» إلى تطبيق أهم المعايير في النظرية النصية، وهو معيار الحبك، الذي اعتمده الباحث؛ ليبين في ضوئه مدى ارتباط النص ارتباطا سياقيا على صعيدي المقام والمقال، الأمر الذي استدعى أن يُقدّم بهذا العنوان للمبحث الأول، أمّا المبحث الثاني، وهو الحبك في الخطبة الشقشقية فكان دراسة تطبيقية للكشف عن هذا المعيار، ودرست فيه:

١. علاقة النص بالمقام الذي قيلت فيه.

٢. وحدة الموضوع من أوله إلى خاتمته.

٣. المتلقي والمعرفة السابقة.

٤. بيان بعض الروابط الدلالية في جمل النص.

Abstract

This study tagged by (the Coherence Standard in Nahj AlBalagha speeches –Al Shaqshaqiya Speech as an example –) aim to apply the most important standards in the textual theory which is Coherence Standard, where the researcher depend on, from side to show through it the range of text engagement conceptual connection in itself , from the other side with its status, and it required a demonstration for this standard in the textual lesson, that was the title of the first section, the second section was for the Coherence in Al Shaqshaqiya Speech which was an Empirical study to reveal the textual coherence standard, using some of its tools which :

1- The relationship of text with status which it was said in.

2- unity of subject from its first until finished.

3- the recipient and the prior knowledge.

4- demonstrate some of indicative links in text paragraphs.

توطئة

اتسع الباحثون في دراسة اللغة وصولا بذلك إلى نظريات لسانية رصينة، ربما لا تكون جديدة بكل محاورها عن الدراسات اللغوية القديمة؛ إذ إنّ كثيرا من أبعاد الدرس اللساني الحديث قد وجدت له ملامح عند العلماء القدامى في دراستهم للغة آنذاك، وقد قامت بعض الدراسات البحثية العربية الحديثة بالإحاطة ببعض تلك الأبعاد، إلّا أن الذي يكمن يقينا في جدة هذه النظريات الحديثة، انها لم توضع قديما في إطار متكامل مثلما هو عليه في الدرس اللساني الحديث، الذي أنتجها، مبينا أبعادها وقوانينها.

ومن أمثال هذه النظريات هي النظرية النصية، أو نحو النص، وقد أشار كثير من الباحثين إلى بيان مفهومه، فوضعوا لنا حدودا متنوعة، ثم بينوا وجه الفارق بينها وبين نحو الجملة، مشيرين إلى علاقة الاشتراك والاختلاف بينهما، ولا أود هنا أن أثقل كاهل البحث بتلك الوجوه والآراء، التي من الممكن على الدراسيين الرجوع إلى تلك المظان لمن أراد الوقوف عليها[1].

المبحث الأول: الحبك في الدرس النصي

أشار الدارسون المحدثون إلى معايير النظرية النصية التي أُشتهر وضعها من لدن العالم الأمريكي دي بوجراند- الذي يعد من أوائل المؤسسين لها[2]- فحدها بسبعة، وهي[3]: (السبك، والالتحام، والقصد، والقبول، ورعاية الموقف، والتناص، والإعلامية). والذي يبدو أنّ هذه المعايير غير ثابتة؛ إذ تعد مقترحات اقترحها، فيقول قبل الإشارة إليها وتسميتها: «وأنا اقترح المعايير التالية لجعل النصية أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها»[4]، فعلى هذا من الممكن أن تكون قابلة للنقصان أو الزيادة،

وإن كان أغلب الباحثين لم يخرجوا عنها.

ولا ضير من إيجاز القول فيها، ونبدؤها بـ:

١. السبك: وهو المعيار الذي يعمل على ربط النص من خلال سطحه الظاهر، أي يعمل على ربط النص لفظيا[٥]، وعده بعض الباحثين من أهم المعايير حتى يكون الكلام نصا[٦]، وأدواته هي: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والاتساق المعجمي، وغيرها[٧]، وربما أشاروا إليه بمصطلحات أخرى منها: التماسك، والربط النحوي، والاتساق، وغيرها، وهذا الاختلاف على ما يبدو ناتج من اختلاف الترجمة للمصطلح الغربي (Cohesion)[٨].

٢. الالتحام: وهو مصطلح مرادف للحبك هنا.

٣. القصد: «وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام»[٩]، فعلى هذا يخرج على ما يبدو كلام الساهي، والناسي، وغير الواعي؛ لكونه غير قاصد، أي أن نحو النص لا شأن له بما لم يتضمن القصد عند إنشاء نص معين، أي النص غير المقصود، ومن التعريف نستنتج أنّ هذا المعيار يتعلق بقائل النص (المتكلم).

٤. القبول: «وهو يتضمن موقف مستقبل النص بإزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام»[١٠]، وعلى هذا فالنص الذي يخالف الأعراف النطقية، أو الذي لا يفهم العقلاء السامعون منه شيئا، لا يعد نصا، وهذا التعريف يكشف أنّ هذا المعيار يتعلق بمتلقي النص.

٥. رعاية الموقف: ويقال له (الموقفية) أو (المقامية) أيضا، ويعد من المعايير الجوهرية؛ إذ هو يشير إلى أنّ معنى

النص لا يفهم، ولا يتحدد إلّا عن طريق موقفه (سياقه) الذي قيل فيه، فالإحالة المقامية من الصعب أن نفهمها إذا كنا غير مدركين للسياق، ومن وجهة أخرى: أنّ النص حين لا يرتبط بالمقام، أو لا يوافقه لا يستحق الدراسة[١١].

٦. التناص: «وهو يتضمن العلاقة بين نص ما، ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء أكانت بواسطة أم بغير واسطة»[١٢]، هذا ما قاله دي بوجراند، وهو يشير بحسب مفهوم التعريف على أنّ التناص يحتمل أن يكون في المعنى، مثلما يكون في اللفظ، وربما يصح أن يقال في عبارة أخرى: هو نوع من التداخل بين النصوص، ألفاظا وأفكارا[١٣].

٧. الإعلامية: ويمكن إيجازها بأنها ما يضيفه النص للمتلقي من معلومات متوقعة، وغير متوقعة (جديدة)؛ ولذا أشار الدارسون إلى أنّ هذا المعيار له مستويات، أو مراتب أو درجات، فمنهم من قال أنها ثلاث وهي: إعلامية الدرجة الأولى، وإعلامية الدرجة الثانية، وإعلامية الدرجة الثالثة، ومنهم من قسمها على قسمين وهي: الإعلامية الواطئة (المنخفضة)، والإعلامية العالية (المرتفعة)[١٤].

هذه هي المعايير النصية التي اعتمدها الباحثون في نظرية نحو النص، مبينين أن هذه المعايير تتضافر وتتكامل في تحقيق الطبيعة النصية للنص، فهي تعد بمثابة الشروط التي نستطيع في ضوئها أن نحكم على أنّ هذا الكلام، أو ذاك، يكون نصا، أو لا.

معيار الحبك:

وقد أُشير له بمصطلحات عدة منها: (الالتحام) الذي ذكره الدكتور تمام حسان في ترجمته لكتاب دي بوجراند، ومنها (الانسجام)، و(الاتساق)، و(التماسك الدلالي)

أو (التماسك المضموني) في مقابل التماسك الشكلي، أي السبك[١٥]، وربما كان سبب هذا التنوع يكمن في ترجمة المصطلح الغربي (Coherence).

وقد آثر بعض الباحثين مصطلح (الحبك) على غيره، مبينا جملة من أسباب هذا الإيثار[١٦]، وهي فيما يبدو تستحق هذا الترجيح، وينأى الباحث عن ذكرها تجنبا للإطالة.

زيادة على ذلك تلحظ ثمة إشارات صريحة عند علمائنا القدامى تشير إلى ردف مصطلحي السبك والحبك، منها ما قاله أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ): إن «خير الكلام المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض»[١٧]، منبها قبل ذلك إلى بيان مفهوم السبك إذ يقول: «وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره»[١٨].

أضف إلى ذلك أنّ مصطلح الحبك له أصل لغوي، يتطابق في دلالته مع ما يراد به في علم النص، إذ أشارت كتب المعاجم إلى بيان هذا المفهوم، الذي يدل على الإحكام، قال ابن فارس (٣٩٥هـ): «الحاء والباء والكاف أصل منقاسٌ مطّرِد؛ وهو إحكام الشَّيء في امتدادٍ واطِّراد»[١٩]، «وكل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته»[٢٠]، وربما كان لشد الإحكام في أصل هذا اللفظ آثر القرآن الكريم استعماله في وصف السماء، قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]، فقيل فيها: «هو إجادة النسج وإتقانُ الصنع»[٢١]، ومع هذه الإجادة والإتقان في صنع السموات، إلّا أنّه لم يلحظ فيها روابط مادية ظاهرة في عالم المحسوس، قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، فناسب بذلك بين الموصوف في آية الذاريات، مع ما يحتمل الوصف من أبعاد دلالية في مفهومه وأصل وضعه، خلافا لبعض المصطلحات الأُخر من

نحو الانسجام، الذي يدل في أصل وضعه على معنى مغاير، قال ابن فارس: «السين والجيم والميم أصلٌ واحدٌ، وهو صبُّ الشّيء من الماء والدَّمع. يقال سَجَمَت العينُ دَمعَها. وعينٌ سَجوم، ودمعٌ مسجوم. ويقال أرض مسجومة: ممطورة»[٢٢]. وأمّا مصطلح الانسجام بزنة الانفعال، الذي يشتق من الأصل المتقدم، فإن جملة من معاجم اللغة التي اطلعت عليها من مثل (العين، والمقاييس، وتهذيب اللغة، والصحاح في اللغة، وأساس البلاغة، ولسان العرب، وتاج العروس) لم تشِر إلى معنى يرادف ما استعمل هنا، بل إنهم لم يذكروا هذه الصيغة أبدا، وربما كان استعماله مع إرادة المعنى المتقدم مجازا، وليس حقيقة، ولست هنا في موضع البحث والتنقيب والتحقيق حول بقية المصطلحات؛ إذ إنّ هذا الموضوع لا يمس روح البحث ومبتغاه، ولكن كان هذا مثالا إلى أنّ استعمال الحبك هو الأفضل، وبخاصة حين جاء به الاستعمال القرآني.

يخلص من ذلك -على ما يبدو- أنّ استعمال مصطلح الحبك الذي يدل على ربط النص وتعالقه مفهوميا، من غير أدوات شكلية ظاهرة على سطح النص هو أنسب من كل المصطلحات الأُخر في النظرية النصية.

ولم يغفل القدامى عن دلالة هذا المعيار، وحاجة النص إلى تحققه، إلّا أنّها جاءت بعبارات متنوعة، وقد رصد بعض الباحثين جملة منها، من نحو: «القران، والتنسيق، وحسن التجاور، وانتظام المعاني، واتصال الكلام، والمشاكلة بين أجزاء الكلام، والكلام الممزوج، والالتئام، والارتباط، والمؤاخاة بين المعاني...»[٢٣]، وزاد آخرون غيرها[٢٤].

يعمل هذا المعيار إذاً على تواشج النص دلاليا ليحقق ترابطا مفهوميا

بين أجزائه[٢٥]، فكل نص لا بد أن يتمتع بوحدة دلالية، وهذه الجمل التي تطفو على سطح النص الظاهري هي مرآة لتحقيق تلك الوحدة[٢٦]، ويرى براون ويول: أنّ قوة النص وترابطه يكمن في هذا المعيار؛ إذ يعدان أنّ العلاقات المعنوية ضرورة لا محيص عنها، وبها يتيسر فهم النص منطقيا، متوجيهن بالنقد إلى هاليدي ورقية حسن من أنّهما جعلا تحقيق هذه العلاقات يتحقق في ضوء أدوات السبك[٢٧]، ولذلك يرى بعض الباحثين أنّ دراسة النصوص في ضوء هذا المعيار تكون أعمق وأدق من معيار السبك؛ لأنّ الباحث أو المتلقي يبحث في العلاقات الخفية التي تنتج النص وتنظمه[٢٨]، وهذا يعني أنّ «الحبك في جوهره تنظيم مضمون النص تنظيما دلاليا منطقيا. تسلسل فيه المعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط... والنص الذي يوصف بأنّه لا معنى له، هو النص الذي لا يستطيع مستقبلوه أن يعثروا فيه على مثل هذا التسلسل»[٢٩]، ومع ما لهذا المعيار من الأهمية إلّا أنّه لا يمكن الاتكاء عليه وحده؛ إذ لا بد من وجود المعيار الأداتي (السبك)[٣٠].

أمّا أدوات الحبك فهي تشمل كل علاقة قائمة على ربط النص، ويكون الفكر قادرا على استنتاج أنّ الجمل التي وضعت في النص متآخية ومتلاحمة، أي إنها محبوكة بعضها ببعض، وإن حذفت واحدة من جمل النص، أو أي تغيّر في ترتيبها يؤدي بالضرورة إلى فجوة، أو نقص، أو خلل في ذلك النص، ومدار التلاحم والترابط بين جملة النص يكون إما مع بعضها، وإما مع مقامها، وعلى القارئ أو المتلقي الوصول إلى نوع هذا الترابط، والتآخي، الذي لا يتقوم بأدوات ظاهرية.

مدار علاقة الحبك هي إذاً عقلية، لكونه يسعى إلى الترابط المفهومي،

وهو ما لا يتحصل إلّا بالإدراك، مما يعني ذلك أنه يشمل كل التصورات التي تحتمل التعقل، فالترتيب الزمني للأحداث، والسببية، والكل والجزء، والعام والخاص، ووحدة الموضوع، وتسلسل الموضوع والمواقف والأحداث وترتيبها، وربط المعرفة الشخصية التي اكتسبها المتلقي أو الباحث مع النص الذي أمامه، وغيرها كثير مما يتصل بالإرشاد العقلي، ولذلك قال بعض الباحثين: إن هذا المفهوم يقع في صميم علم النفس الإدراكي، ويتصل بفضاء عمل الذهن، لكونه ينشط العلاقات والمفاهيم[٣١]، وهذه ما يفهم من تعريف دي بوجراند للالتحام إذ يقول: «وهو يتطلب من الإجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي»[٣٢]، فقد يرتبط النص بأدوات، لكن عدم وجود الترابط المفهومي يجعل النص مفككا[٣٣]، فمثلا لو قيل:

انتصر العراقيون على الإرهابيين، والبصرة تتمتع بإنتاج نفطي كبير

فمع وجود أداة الربط بين الجملتين، إلّا أنّ النص يُبدي تفككا واضحا؛ إذ لا دلالة مشتركة بين الجملتين.

وعلى هذا ذُكرت جملة من المظاهر أو الأدوات التي تنتمي إلى الجانب المفهومي، والتي يتحقق بوساطتها الحبك، وقد حدها دي بوجراند بثلاثة تحت عنوان وسائل الالتحام -على وفق رأي المترجم للمصطلح- وهي:«

١. العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.

٢. معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

٣. السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم»[٣٤].

ومع كل ما تقدم من الوسائل الثلاث

التي عرضها دي بوجراند، فهي قد تتفرع إلى أكثر من ذلك بحسب توجهات بعض الباحثين، التي تبدو هي فتح أو تفكيك لعبارات دي بوجراند المتقدمة، وهي[٣٥]:

١. وحدة الموضوع أو الترابط الموضوعي: وتكاد تكون هي الأهم، فحين يتحدث النص عن مواضيع مختلفة، فيكون من الصعب بمكان أن نصل إلى الترابط بين جمل ذلك النص.

٢. علاقة النص بالمقام: حين يرتبط النص بمقامه فسوف يكون أكثر حبكا، إذ يستطيع المتلقي أن يصل إلى شفرات النص، أو يصل على ما طُوِي ذكره، لمعرفة السامعين له.

٣. الروابط المنطقية بين جمل النص: فالنص حين يخلو من أدوات الربط، فلا توضع الجمل جزافا، وإنما لا بد من أن تتموضع جمل النص على وفق قوانين معينة، كأن تكون الجملة الأولى علة للجملة الثانية، أو سببا لها، أو تكون بمثابة التفصيل والإجمال، أو العام والخاص، أو تترتب الجمل مثلما يتطلبه العقل والمنطق، وغيرها من الروابط القائمة على أسس منطقية.

٤. دينامية النص: أي يجب أن يشعرنا النص أنّه يتحرك بحركة منتظمة ومتتابعة، وإذا حصل هذا الانتظام بعرض المعلومات فإنه يعطي للمتلقي التسلسل والتدرج، وهذا يشعره أنّه يسير سيرا منتظما ومتدرجا نحو هدف معين، وهو الترابط الموضوعي للنص، ولهذا فإن النص الذي لا يحقق تقدما في جمله في مرحلة من مراحل انجازه يعد ناقصا أو جامدا في تلك المرحلة.

٥. تناغم النص مع المتلقي: إذ إن لكل متلقٍ ثقافة ومرجعيات، ولا بد من أن تتناغم المعرفية الموجودة في النص مع معرفية المتلقي حول عالمه، ولذا يقول دي بوجراند: «السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة

الإنسانية ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم»[٣٦].

٦. الاختتام: لا بد للنص من أن تكون له خاتمة وهذه تحقق غائية النص، وبها يتوصل المتلقي إلى ما يريده النص.

المبحث الثاني: الحبك في الخطبة الشقشقية

يحاول الباحث في دراسته للخطبة في ضوء معيار الحبك الذي اتضحت بعض وسائله في المبحث الأول، وإنما قيل بعضها؛ لأن كثيرا من الدارسين والباحثين يختلفون في تحديدها، ولأن هذه الوسائل لم تظهر لنا في شكل موحد، لذا قد ارتأى الباحث أن يدرسها من جوانب معينة، هي:

١. علاقة النص بالمقام الذي قيلت فيه.

٢. وحدة الموضوع من أوله إلى خاتمته.

٣. المتلقي والمعرفة السابقة.

٤. بيان بعض الروابط الدلالية في جمل النص.

ومن الضروري -قبل البدء في الدراسة- عرض الخطبة التي جرت على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام)، معتضدة بالرواية؛ لكشف القناع عن ملابسات السياق الذي قيلت فيه.

وقد ذكر صاحب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة روايات عدة تختلف في سلسلتها، إلّا أنها متشابه في سندها، فقال: «ما رواه العلامة الحلّي[٣٧] طاب ثراه في كتاب كشف الحقّ ونهج الصّدق... بإسناده إلى ابن عباس[٣٨] قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال: «أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا

اَلْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا اَلصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ فَرَأَيْتُ أَنَّ اَلصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي اَلْعَيْنِ قَذًى وَفِي اَلْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً حَتَّى مَضَى اَلْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ اَلْأَعْشَى[٣٩]:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا
وَيَوْمُ؟ حَيَّانَ؟ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ اَلْعِثَارُ فِيهَا وَاَلِاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ اَلصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ اَلنَّاسُ لَعَمْرُ اَللهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاِعْتِرَاضٍ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ اَلْمُدَّةِ وَشِدَّةِ اَلْمِحْنَةِ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لله وَلِلشُّورَى مَتَى اِعْتَرَضَ اَلرَّيْبُ فِيَّ مَعَ اَلْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ اَلنَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ اَلْآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ اَلْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَ مُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اَللهِ خِضْمَةَ اَلْإِبِلِ نِبْتَةَ اَلرَّبِيعِ إِلَى أَنِ اِنْتَكَثَ فَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَاَلنَّاسُ كَعُرْفِ اَلضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ اَلْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ اَلْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ[٤٠] آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اَللهِ حَيْثُ يَقُولُ ﴿تِلْكَ اَلدَّارُ اَلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي اَلْأَرْضِ وَلا فَساداً وَاَلْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بَلَى وَاَللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ اَلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا أَمَا وَاَلَّذِي فَلَقَ اَلْحَبَّةَ وَبَرَأَ اَلنَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ اَلْحَاضِرِ وَقِيَامُ اَلْحُجَّةِ بِوُجُودِ اَلنَّاصِرِ

تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

وَمَا أَخَذَ اَللهُ عَلَى اَلْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ».

وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا، فأقبل ينظر فيه. قال له ابن عباس (رضي الله عنه) يا أمير المؤمنين لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت. فقال: «**هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ**». قال ابن عباس: فو الله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين (عليه السلام) بلغ منه حيث أراد»[٤١].

١. علاقة النص بالمقام:

لا بد من التنبيه أولا على أمر ربما يكون له أهمية في مناسبة هذه الخطبة؛ إذ قيل: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) ارتجلها حين ذكرت عنده الخلافة، مثلما ذكر أعلاه، وربما يذعن المتلقي بهذه الرواية؛ إذ إنّ بداية النص ربما تشهد على صحة ذلك؛ ففي أول كلماتها يلحظ أنه يشير بإحالة مقامية إلى شيء حاضر في مقام الخطاب، وهو الضمير (ها) في (تقمصها)، مما يعني أنّ المخاطَبين لهم دراية في مقام الحال بما يتحدث المتكلم عنه. ولو جعل القارئ مرجعية هذه الإحالة، مثلما تقرر آنفا، وضمها إلى جمل النص، لوجد ثمة تطابق وتوافق موضوعي في مرجعية الإحالة، مع مضمون النص، أي إنّ هذا النص المتقدم يتكلم عن بنية كبرى، وموضوع واحد، وهو موضوع الخلافة المسلوبة عن أصحابها.

ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن هذه البداية لا تشعر أنّ الخلافة حينما ذكرت كان حديثا عابرا، إذ إن اجتلاب القسم في أوله يدل على أن المقام كان يتطلب التأكيد، وقد أُشير آنفا أن هذا النص مرتبط بمقامه عبر الإحالة في (تقمصها)، وعلى

هـذا فـإن ابتـداء النـص بالقسـم لا بـد مـن أن يحيـل عـلى أن في المقـام أمـرا مـا، اسـتوجب أن يبتـدأ صاحـب النـص بهـذه البدايـة.

ولبيـان ذلـك الأمـر نـود تحليـل الأمثلـة الآتيـة، لكـي نطبقهـا عـلى مـا يحتمـل مقامهـا التـي صـدرت عنـه، وهـي أننـا لـو سـمعنا شـخص يقـول مثـلا:

والله إن محمـدا هـو الـذي يقـرأ القـرآن

والله إنـه قـرآن ومحمـد هـو الـذي يقـرأ

محمد يقرأ القرآن

إذا كان هـذا قرآنـا فمحمـد هـو الـذي يقـرأ

أسـمع صـوت محمـد فـلا بـد أنـه يقـرأ القـرآن... الـخ

فلـكل واحـدة مـن هـذه الجمـل ترتبـط بمقـام خـاص، ومـن غـير الممكـن أن تقـال جميعها في مقـام واحد؛ إذ لا يمكـن أن تتفـق الجملـة الأولى مـع الـذي يسـمع صوتـا، ولا يـدري أهـو دعـاء، أم قـرآن، أم غنـاء، بـل إن الـذي يتفـق دلاليـا مـع الجملـة الأولى، هـي إنهـا تكـون جوابـا، أو إخبـارا لمـن أنكـر أن محمـدا يقـرأ القـرآن، والجملـة الثانيـة تتفـق مـع مـن يسـمع شـيئا ولا يـدري مـا هـو، والثالثـة تتفـق دلالـة مـع مـن يستفهم عـن القـارئ للقـرآن. وهكـذا.

وعـلى هـذا فبدايـة النـص الـذي بـين أيدينـا لا يناسـب أنّ موضـع الخلافـة قـد ذُكـر ذكـرا عارضـا -مثلـما جـاء في الروايـة أعلاهـا-، ثـم بعـد ذلـك بـادر المتكلـم إلى نصـه، وهـو في حـال المكابـدة أو الغصـة في حديثـه، بحسـب مـا يسـتفاد مـن لفـظ الشقشـقة، التـي سـيتضح معناهـا فيـما سـيأتي، فـلا بـد مـن أن نسـتوحي في ضـوء هـذه البدايـة الظـروف المحيطـة بالنـص؛ إذ إنّ بدايتـه تشـعر أنّـه ثمـة أحاديـث أو أقاويـل قـد دارت بـين القـوم آنـذاك قـد تتصعـد إلى مواقـف، أو توحـي عـن مواقـف أصحابهـا، مـن نحـو:

- إن الخلافة هي من استحقاق الأول، بحسب رأي من اجتمع من المسلمين في وقتها، وهو قد رضي بها على كراهة.

- أو إن المسلمين قد ألبسوها عليه من غير رغبة في الحصول عليها، وهو كان الأحق بها.

- وربما سمع منشئ النص من بعض المتلقين الذين يخوضون بحديث الخلافة، أنهم يقولون مثلا: إن الأول طلب مرارا الإقالة منها، ولم يقله أحد.

- أو غيرها مما يُشاكل أمثال هذه الاحتمالات.

فهذه الوجوه المحتملة ربما تكون هي الأنسب مع بداية سياق النص المبتدئ بالقسم، الذي يشير أن ثمة منكرا بين المتلقين، أو أنهم قد اعترضهم الشك في أحقية الخلفاء الأوائل، أو عدم أحقيتهم.

ومما يعضد هذا التوجيه إجابته على ابن عباس حين قال له: «**لَوِ اطَّرَدَتْ خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ**». جاء في الصحاح: «شَقْشَقَ الفحلُ شَقْشَقَةً: هَدَرَ... والشِقشِقَةُ بالكسر: شيءٌ كالرئة يُخرجها البعير من فيه إذا هاج. وإذا قالوا للخطيب: ذو شِقْشِقَةٍ، فإنّما يُشَبَّهُ بالفحل.»[٤٢]، ويعني ذلك أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد هاج وثار على ما سمع، أي أنّ ثمة خطبا قد ألح على الإمام (عليه السلام) أن يكون في ذلك الموقف ذا شقشقة، حتى اضطر إلى كشف المواقف وتوضيحها، التي ربما لم تتضح من قبل، أو شابها الغموض، فتتطلب المقام أن يقول مقالته هذه، مستعملا في بعض جمله أسلوبا حجاجيا لدحض الشكوك والملابسات، أي إن ثمة عبارات في النص قد ذكرت وقد يراد في ضوئها إبطال بعض الادعاءات، من مثل قوله: «**فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ**»؛

إذ معنى يستقيلها أنه يطلب الإقالة منها، وكأنّ صاحب النص يريد أن يبين -بطريق التعجب المفضي إلى الإنكار- أنّ طلب الإقالة محض ادعاء، أي إنه كان يدعي الإكراه عليها، وهذا الادعاء غير مناسب -لو صح- مع الإدلاء بها لغيره بعد وفاته، أي إنّ الذي يطلب الإقالة منها لا يوصي بها إلى غيره بعد وفاته.

وإذا رجح هذا الوجه في بيان سياق النص موضع الدراسة، فإنه يقودنا للوصول إلى الحلقة المفقودة، أو ما يسمى بأعراف الحبك بين النص ومقامه[٤٣]، وصار بإمكاننا أن نعي لماذا ابتدأ الإمام (عليه السلام) بالقسم، وفصّل في أمر الخلافة تفصيلا واضحا، مبينا أو مشيرا في النص إلى جوانب ثلاثة رئيسة، وهي:

١. تصوير حال الخلافة في مراحلها الأربع، أي مع الأول والثاني والثالث حتى تسنم زمامها أمير المؤمنين (عليه السلام).

٢. تصوير حال كل واحد من الخلفاء وما آلت إليه الأوضاع.

٣. تصوير حال المجتمع، وما اعتراه في رحلة الخلافة.

ومع لحاظ حال المقام التي تم قراءتها أو تقديرها على وفق معطيات النص، يصبح النص أكثر حبكا وتماسكا بين جمله من جانب، وبينه وبين مقامه من جانب آخر، نعم ربما وجد هذا الارتباط بالإحالة إلى المقام عن طريق الضمير مثلما ذُكر آنفا، إلّا أنّ سياق النص عامة، وبدايته خاصة يجعله مرتبطا من وجه آخر بمقامه من غير أدوات إحالية.

٢. وحدة الموضوع

أُشير آنفا إلى أنّ الموضوعات التي تحدث عنها النص قد تمحورت في أمور ثلاثة، إلّا أنّ جامع هذه الأمور، هو شيء واحد، وهو التفصيل في ما آلت إليه الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكانت حركة ضمير الخلافة الذي يشير إلى إحالة مقامية ممتدا

من أول النص، حتى آخره، وهي: «تَقَمَّصَهَا، مِنْهَا، دُونَهَا، عَنْهَا، بِهَا، يَسْتَقِيلُهَا، عَقَدَهَا، ضَرْعَيْهَا، فَصَيَّرَهَا، فَصَاحِبُهَا، لَهَا، لَهَا، جَعَلَهَا، حَبْلَهَا، غَارِبَهَا، آخِرَهَا، أَوَّلَهَا»، جعلت النص يدور حول مركز واحد، وهو موضوع الخلافة، مبينا مشاهدها الأربعة:

١. المشهد الأول:

أ- حال الآخذ: ادعى لنفسه أنّه الأولى بلبسها، مع ادعائه بالإجبار عليها.

ب- حال المأخوذ منه: الصبر لقلة الناصر.

ج- حال المجتمع: طخية عمياء...

٢. المشهد الثاني:

أ- حال الآخذ: حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ اَلْعِثَارُ فِيهَا وَاَلِاعْتِذَارُ مِنْهَا.

ب- حال المأخوذ منه: الصبر لطول المدة وشدة المحنة.

ج- حال المجتمع: أصيب الناس بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاِعْتِرَاضٍ.

٣. المشهد الثالث:

أ- حال الآخذ: «قَامَ ثَالِثُ اَلْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَ مُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ...».

ب- حال المأخوذ منه: امتثل الصبر أيضا فجاور أصحاب الشورى، وهو ليس نظير لهم فقال «لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا».

ج- حال المجتمع: الانتفاضة والقيام بسبب أعمال الآخذ «إِلى أَنِ اِنْتَكَثَ فَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ».

٤. المشهد الرابع:

وفي هذا المشهد الأخير اختلف الحال، إذ انتهت حال تقمص الخلافة، واجتمع الناس حول أمير المؤمنين (عليه السلام)، ليلقون الحجة عليه ليكون خليفة لهم، ولكن ما فتؤوا حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من النكوث والمروق، فقال: «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ

أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ...».

ومن البديع أنّ الإمام (عليه السلام) حين اختار هذا الوصف (تقمصها) كأنّه أراد أن يشعر المتلقين بمضمون الخطاب الذي سيأتي -أي أنها مثلما يقال عند النصيين[٤٤]- مثلت السياق النصي الأولي لكل لاحق من الكلام، ولهذا يلحظ أنّ مضمون محاور الخطاب التي بينها الإمام (عليه السلام) في أول أمره، وهي أنّ هذه الخلافة قد تقمصها الأول، أي اتخذها لباسا له، فلبسها مثل القميص، وهذا المعنى هو المستفاد من صيغة تفعّل، فيقال توسد الثوب، أي اتخذه وسادة[٤٥]، ثم عقدها لثان يخلفه فيها، وهذا يعد تقمصا آخر لها، واستمرارا للفعل الأول، حتى استقر أمرها في جماعة ينتخبون لها حسب توجهاتهم ومرجعياتهم، وهذا يعني أنّها قُمّصِت لثالث، مبينا حال الأمة مع كل واحد منهم، فدلت الكلمة الافتتاحية للنص على ما سيؤول إليه النص، يقول براون ويول: على منشئ النص «أن يختار نقطة بداية. هذه النقطة ستؤثر في فهم المستمع/ القارئ لكل ما يليه في الخطاب»[٤٦]، وإلى مثل هذا أشار قدامى النقاد، ومنهم أبو هلال العسكري (٤٠٠ هـ): «أن تكون موارده تنبيك عن مصادره، وأوله يكشف قناع آخره»[٤٧].

وكأنّ بداية النص قد اكتنزت أهم محورين، أو مسالتين من مسائل هذا المعيار وهما: بنية النص الكبرى أو وحدة الموضوع، وتوقع المحاور التي سيدور حولها النص، وبدا أنّ النص يتصاعد في كل الموضوعات.

وتمتد بنية النص الكبرى إلى خاتمته؛ لقوله (عليه السلام) «لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»، فهنا أشار إلى أنّه ليس من طلاب الخلافة، فلو عدنا إلى النص، وملاحظة المسعى

نحو الفوز بالخلافة، وتصييرها لباسا لغير لابسها، ومركوبا لغير فارسها، حين شبهها براكب الصعبة[٤٨]، فقال: «فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ»، أي أن الخلافة مثل النوق غير المنقادة التي لم تذلل بالركوب، ولا بالمحمل، فإن شُدّ زمامها بقوة خُرم أنفها، وان أرخى لها صاحبها لم يستطع السيطرة عليها[٤٩]، بيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) موقفه منها إذ قال: «فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً»، مبينا أنّه لم يرده لنفسه طلبا للإمرة والتسلط في الدنيا، فكيف ذلك والدنيا بأكملها لا تمثل عنده عفطة عنز، مثلما أشار في ختام نصه.

ولا بد من التنبه هنا على أنّ ختام النص لم يكن خارجا عما تضمنه؛ إذ حين أشار على أنّ الدنيا لا تساوي عنده حتى عفطة عنز، فهو يبين هنا إلى أنّه إذا كان المرجو من الخلافة هي الدنيا، وهي بهذه القيمة التي وصفها، فلا بد من أن تكون وسائل الوصول إلى ذلك المرجو أقل قدرا من المرجو نفسه، وفي عبارة أخرى هو أراد عن طريق وصف الدنيا في الشكل المتقدم، أن يقول للمتلقي إنّ الخلافة عندي لا تمثل منصبا دنيويا، حتى إذا ما حظيت بها أحصل على ما أريد، وحين نفى عدم إرادة شيء من هذا الموصوف الذي بيّن وضاعة وصفه، فلا بد من أن تكون وسائل الوصول إليها أكثر وضاعة منه، فأوجز ذلك بأن أوضح حقارة الدنيا في نفسه، ليدخل كل عمل غايته الوصول إلى هذه الدنيا دخولا أوليا بهذا الوصف، مما يعني أنّه قد اختتم حديثه مشيرا إلى الموضوع نفسه الذي ابتدأ به أولا، وتسلسل في أحداثه.

وفي ضوء الإيجاز في محاور النص أعلاها تبينت بوضوح وحدة الموضوع (البنية الكبرى)، وتسلسل أحداثه تسلسلا منطقيا مع المجريات الحقيقة، مما أعطى حركة ملحوظة

بهذا التتبع والتسلسل من أول النص إلى آخره، فشكل حركة واضحة في مسار النص، حركة تصف حال الآخذ للخلافة وهو الأول والثاني والثالث، مع ما آلت إليه الأمور بخلافتهم، وحركة أخرى تصف حال الذي أُخِذت منه، وهو صاحب النص الذي يحيل لنفسه بإحالة مقامية مستعملا ضمير التكلم، زيادة على ذلك فقد لحظت أيضا في هذا النص الحركة الثالثة، وهي حال المجتمع، وفي كل هذه الحركات، لم تغب عن المتلقي حال المأخوذ نفسه، وهي الخلافة، حين جعلها كالرداء تارة يلبسها من ليس أهلا لها، والناقة الصعبة تارة أخرى، مبينا عن طريق هذا الاستعمالات الاستعارية، صورة بيانية لطيفة، يقدح وميضها في خيال فكر المتلقي.

وعلى هذا يتقرر في النص أعلاه الوحدة الموضوعية، التي ابتدأت من أول النص حتى آخره مع لحاظ الحركة النصية التي أظهرها التتابع الدلالي، والتسلسل المنطقي لجمل النص، زيادة على ملاحظة شدة ملابسة النص للمقام الذي قيل فيه.

٣. المتلقي والمعرفة السابقة:

وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة أخرى، وهي أنّ في الرجوع إلى كلام ابن عباس حين قال: «فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين (عليه السلام) بلغ منه حيث أراد»؛ يتبين من هذه العبارة أنّ هناك تناغما ومقبولية من المتلقين مع هذا النص، وهذا يقودنا إلى تحقق التفاعل المرجو بين ما يعرضه النص من معلومات مع الخلفيات المرجعية السابقة للمعرفة بالعالم، وهذا يحقق ما أشار إليه دي بوجراند في الشرط الثالث من الحبك؛ إذ يقول: «السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع

المعرفة السابقة بالعالم»[٥٠].

وهذه المعرفة لم تكن على ما يبدو عند ابن عباس فقط؛ إذ إنّ موقف الرجل الذي أعطى الكتاب، كان لديه هذا التفاعل، أي تفاعل معلومات النص مع المعرفة السابقة، ولكنه كان على ما يبدو مغايرا لموقف ابن عباس، لكونه أراد أن يُوقف المتكلم عن الاستزادة والاسترسال في خطبته، ولذا قطع حديث الإمام (عليه السلام) بحجة تسليم الكتاب، ودليل ذلك ما جاء في مضمون الكتاب، الذي كان يضم مجموعة من مشكلات المسائل المعرفية، من قبيل «. ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب؟... ٢. ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام؟... ٣. ما العبادة التي إن فعلها أحد استحقّ العقوبة وإن لم يفعلها أيضا استحقّ العقوبة...»[٥١]، فالملاحظ من هذه المسائل أنها كانت تنم عن معرفة فكرية واعية في القرآن الكريم، مما يرجح أن المتلقي كان يدرك ما يقوله الإمام (عليه السلام)، وهذا الوجه ربما يوثق تشظي آراء الحاضرين، أو مواقفهم، أو التبس عليهم الأمر؛ لعدم معرفتهم عن كثب بما آلت إليه مجريات الأحداث آنذاك في مسألة الخلافة.

٤. الترابط في جمل النص:

لكن يبقى هنا -وهو الأهم في هذا المعيار بعد وحدة الموضوع وارتباطه بمقامه- دراسة النص من جوانب الربط المنطقي بين جمله؛ إذ يبين هذا الجانب تعالق الجمل فيما بينها، وكأنها حلقات متداخلة، يرتبط بعضها ببعض، ومتى ما انفلتت إحداها انقطع التسلسل أو التتابع لفكرة النص، الأمر الذي تتولد معه فجوة واضحة لدى القارئ.

ولا يريد الباحث هنا أن يشير إلى الجوانب البيانية التي أخذت مساحة واسعة من النص، من نحو الاستعارات، والكنايات،

والتشبيهات، أو غيرها، لكونها ليس لها علاقة بموضوع البحث، ولأن شروح نهج البلاغة المتعددة قد أوفت هذه الجوانب[٥٢]، وإنما المراد هنا هو بيان وجه التعلق بين الجمل؛ ولذا سوف ينتخب الباحث أحد الروابط، وهو بيان الترتيب لبعض جمل النص المتعاطفة، إذ ما يلحظ في النص أن هناك جملا هي مترابط بأدوات السبك الظاهرية، من مثل واو العطف، إلّا أن هذا الربط النصي لا يفسر لنا لماذا قدمت الأولى على الثانية؟، أو على الثالثة إن وجدت؟، مما يعني أنّ هناك ترابطا مفهوميا (دلاليا) هو الذي رشّح هذا التقديم، وهو الذي يزيد في الحبك النصي.

والملاحظ بعد مراجعة النص، أن ترتيب بعض الجمل وترابطها لم يكن عفويا، بل إن ثمة أسبابا وراء ذلك، فبدت بعض هذه الأسباب عقلية، أي أن العقل والمنطق لا يقبل بعكس هذا الترتيب، أو أسباب تخضع لمعايير أخرى، من نحو: أنّ الترتيب في الجمل كان يتناسب مع التدرج السببي، أو أنّ ترتيبها خضع لمعيار القلة والكثرة (المقاربة في العدد)، أو الاشتراك في قيد واحد، أو أنّه جاء أنسب مع المتقدم للجملة الأولى، وسوف ينتقي الباحث، بعض الجمل بناءً على هذه المعطيات التي لحظها في النص، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أ. الترتيب العقلي للجمل:

من لطيف الترتيب في هذه المسألة، أنه قدم «يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ» على «وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ» لما فيها من رقي وارتفاع، إذ لو عكس الأمر لكان انخفاض من الأعلى إلى الأدنى، فقمم الجبال هي أعلى شيء تنحدر منه المياه، إلّا أنّ الطير قد يصل إلى أعلى من تلك القمم، فكيف والطير لا يرقى إليه، فلو ذكر الثاني بداية لكان ذكر الأول انحدارا وفضولا؛ لدخوله دخولا أوليا، إلّا أنّ ذكر

الأول لا يجزي عن الثاني؛ لأنّه -أي الثاني- أعلى وأرقى، ثم إنّ الانتقال من الأدنى إلى الأعلى يناسب مقام المدح والثناء[٥٣]، ومراعاة الترتيب هي من الأمور التي يفرضها المنطق ويقره العقل.

ومن لطائف الترتيب في هذا النص أنّه قدم «فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً» على «وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً»، فكلا الجملتين لهما الدلالة نفسها، وهي الإعراض عن الخلافة، ومع توافق هذه الدلالة لكنه جاء بهما ليبين شدة الإعراض، وكأنّه يشير إلى عدم العودة إليها أبدا، أمّا من حيث لطافة تقديم الجملة الأولى، فربما يصح لها التمثيل الآتي: وهو أننا لو كنا أمام نافذة ونود أن نتركها ونسدل ستارها، فلا بد عقلا أن نسدل الستار أولا، ثم نتركها، ولا يمكن أن نعكس الأمر، إلّا أن نكون متذبذبين في رأينا على تركها؛ لأجل العودة لها مرة أخرى، أو لا ندرك صحة التصرف، وعليه فلو فُرِض في النص تقديم الثانية، فإنه سوف يحتاج أن يعدل بطويه حتى يسدل الثوب؛ ليكون حجابا آخر دونها، لكن حين قدم الأولى -مثلما هي عليه في النص- فلا يحتاج أن يعدل عن طويه بعد ذلك، مبينا حتمية الترك والإعراض عنها، ومبينا أيضا عدم الرجوع مطلقا.

ومنه أيضا ما قاله في «وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاء»، فقدم الجملة الأولى؛ لكونها الأولى بالتقديم، إذ المنطق يفرض أنّ صاحب الحق المسلوب عنه بالقوة، لا بد من أن يدافع عنه بالقوة، حين لا يكون جدوى إلّا بها، وحين تستنفد كل الوسائل الأخرى، ويكون السكوت عند العجز عن ذلك، لكن الإمام (عليه السلام) بيّن أنّ السكوت والصبر عن حقه لم يكن خوفا أو تباطؤا، وإنّما علم بعد تفكره: أنّه الأسلم للدين،

ومصالح المسلمين، ويحتمل هذه التقديم أيضا: أن الحديث الذي دار حول الخلافة ربما تضمن النقد واللوم على أنّ الأمام (عليه السلام) لم ينتفض لحقه، وكانت لديه من الشجاعة ما قد عرف عند الخاصة والعامة، وبذا يكون هذا التقديم يناسب مقام النص.

ب. الترتيب السببي

من ذلك ما قاله في «**أما وَالَّذِي فَلَقَ اَلْحَبَّةَ وَبَرَأَ اَلنَّسَمَةَ لَوْلاَ حُضُورُ اَلْحَاضِرِ وَقِيَامُ اَلْحُجَّةِ بِوُجُودِ اَلنَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اَللهُ عَلَى اَلْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أولها...**».

نراه في الجمل الثلاث المتعاطفة وهي:

١. حضور الحاضر: وفيها الإشارة إلى مبايعته.

٢. قيام الحجة بوجود الناصر: أي قيام الحجة عليه لو ترك القيام، وذلك لوجود الناصر له في طلب الحق[٥٤].

فهاتان الجملتان مترتبة إحداهما على الأخرى، إذ إنّ الأولى التي تتضمن المبايعة، يترتب بها قيام الحجة على من بايعوه، ويترتب على وجود هذا أن يقوم العلماء بتكليفهم الشرعي إزاء الظلم والمظلومين وهي:

٣. ما أخذ الله على العلماء

قال البحراني (٦٧٩هـ): «والعذران الأولان هما شرطان في الثالث إذ لا ينعقد ولا يجب إنكار المنكر بدونهما»[٥٥]. فحضور الحاضرين هو السبب الذي أوجد الحجة، ووجود الحجة توجب على العالم القيام بالأمر، وكأنّ الجملة الأولى كانت سببا للثانية، والثانية كانت سببا للثالثة، فكأنّ الجمل رتبت تبعا لأسبابها، وبذا أصبحت أكثر تداخلا وتعالقا، وكأن إحداها تمسك بالأخرى.

وهذه النتيجة الأخيرة المسبَّة عما تقدمها، كانت هي أيضا سببا في عدم ترك الأمر، أي إنّ الذي لم يحقق «لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا»، أي امتناعها، هو بسبب تحقق ما توجب على العلماء القيام بالأمر بعد ثبوت الحجة عليهم، وهذا المعنى متقرَّر نتيجة الاستعمال للأداة (لولا)[٥٦].

لكن من لطافة الترتيب السببي ما جاء بعد ذلك في قوله: «لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أولها»؛ إذ إنّ الجملة الثانية هي مترتبة على الأولى، ومسبَّبة عنها، أي أنّه (عليه السلام) لا يقوم بفعل السقاية الحقيقية، وإنّما المقصود من ذلك أنّ ترك الخلافة وإهمالها ثانية، الذي استعار له بجملة «لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا»، يكون سببا ليؤدي إلى نتيجة أن يسقى آخرها بكاس أولها، أي أن ترك الخلافة مرة ثانية يؤدي إلى ما أدى الترك الأول، وهو أن يصبح الناس في (طخية عمياء)، فعلى هذا تكون السقاية هي نتيجة مسببة عن ترك الخلافة ثانيا، ولو عكس الأمر في إتيان الجمل، أي لو قال مثلا: «لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أولها ولَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا»، فلربما يُفهم من السقاية تعمده في القيام بعمل ما، وليست مسبَّبة عن ترك تولي الأمر.

فضلا عن الإشارة بهذه الجملة «وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أولها»، التي تحيل إلى ما تقدم، تبين مدى ارتباط النص بعضه ببعض ارتباطا مفهوميا، لا يمكن الوقوف عليه في ضوء الروابط السطحية للنص.

ج. الترتيب للاشتراك في الوصف:

ويقصد به أنّ صاحب النص قد يراعي التقارب العددي، فيقدم جملة على أخرى، أو أن تتفق جملتان في وصف واحد، ومن ذلك ما جاء في قوله: «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ»، إذ قد جاء في

روايات متواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وبإسناد مختلف أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أخبر: أن عليا (عليه السلام) سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وجلّ هذه الروايات التي ذكرت هذه الفئات الثلاثة تكاد تتفق على هذا التسلسل، من ذلك ما نُقل في حديث عنه (صلى الله عليه وآله) مع أم سلمة، يقول فيه: «... **يا أُمَّ سَلَمَةَ اِسمَعي وَاشهَدي هذا عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ سَيِّدُ المُسلِمينَ، وإمامُ المُتَّقينَ، وقائِدُ الغُرِّ المُحَجَّلينَ، وقاتِلُ النّاكِثينَ وَالقاسِطينَ وَالمارِقينَ...**»[٥٧]، لكن مع كثرة التواتر في سماع الحديث، في أوقات ومناسبات مختلفة، الذي هو يتفق مع التسلسل التاريخي للحروب التي حدثت فيما بعد، إلّا أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) في نصه المتقدم قد عدل عن هذا الترتيب.

فأشار إلى الناكثين أولا: وهم الذين بايعوه، ثم نكثوا بيعته، وقادوا حربا، وهي التي عرفت بحرب الجمل، وتعد أول حرب في خلافته، وقد قيل: إن عددهم ما بين عشرين إلى ثلاثين ألفا، ثم بعد ذلك ذكر المارقين، وهو من المروق، أي خرجوا من الدين، مثل خروج السهم من القوس، وهم الخوارج، الذين قاتلهم الإمام (عليه السلام) بحرب النهروان، وكانوا لا يزيدون على اثني عشر ألفا[٥٨]، وأما القاسطون: فهم الذين خرجوا عن الدين وجاروا في الحق، وهم أصحاب معاوية، وقد قاتلهم الإمام (عليه السلام) بحرب صفين[٥٩] قبل وقعة النهروان، ونقلت الروايات أن قتلى معركة صفين فقط، من اتباع معاوية، وليس من الجيش بأكمله، بلغ خمسة وأربعين ألفا[٦٠]، وأما عدد جيش معاوية فقيل: تسعون الفا، وقيل: مائة وعشرون ألفا، وبلغت أيام القتال ما يربو على مائة يوم ونيف، خلافا لمعركتي الجمل والنهروان اللتين لم يتجاوز وقتهما إلّا بضعة أيام[٦١]، ولذا يرى الباحث

أن صاحب النص عدل عن الترتيب التاريخي، مؤخرا المعركة الثانية وهي (معركة صفين) لما فيها من كثرة القتل وأيام الحرب، الذي أثقل كاهل الأمة الإسلامية، ولذا أفردها بالوصف قائلا (آخرون)، خلافا للجملة الثانية في ترتيب النص أعلاها، وهي (ومرقت أخرى) التي عطفها على الجملة الأولى، قاصدا بها طائفة أخرى، فجمع بين الأولى والثانية لتقارب عددهم، أو لأنهما اشتركا بلفظ واحد وهو طائفة، ولكن حين كان العدد يفوق ثلاثة أضعاف الناكثين والمارقين، أخرهم في الذكر، ولم يعبر عنهم بطائفة، فقال: (وقسط آخرون)، فجاء اللفظ متسلسلا مع الكثرة، مما جعل جمل النص أكثر تداخلا واحتباكا، مما لو قيل مثلا: (فنكثت طائفة، وقسط آخرون، ومرقت أخرى، أو مرقت طائفة أخرى).

د. الترتيب لمشاكلة المعنى:

وهو أن يقدم إحدى الجمل على الأخرى، لوجود مناسبة ومشاكلة في المعنى بين الجملة الأولى وما يتقدمها، ونظيره هو تقديم الجملة «**إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ**» في قوله: «**فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ اَلصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ**»، إذ لا ضير لو قال مثلا: (فصاحبها كراكب الصعبة إن أسلس لها تقحم، وإن أشنق لها خرم)، لكن قدم الشنق، وهو الشدّ والسحب بقوة على السلس، وهو تركها وإرخاء زمامها، فناسب ذكر القوة أولا مع اللفظ المتقدم عليها، وهي الصعبة، وهذا يجعل النص أكثر احتباكا.

الخاتمة

تبين من دراسة النص المتقدم في ضوء معيار الحبك النصي مدى التواشج المفهومي والارتباط الدلالي على وفق المحاور التي حددها الباحث في دراسته، مما يمكن القول إنّ تلك الأبعاد الدلالية لا يمكن

الوقوف عليها والاهتداء إليها، إذا اكتفت أن تنحو الدراسات في بيان الارتباط السطحي للنص (السبك).

وقد تبين أيضا أن بعض الجمل أو النصوص يمكن أن تتخلى عن الربط السطحي، ومع ذلك لا يلحظ عيبا أو تفككا إذا تماسك أو ارتبط النص دلاليا، إلّا أنّ تخلي النص عن الربط المفهومي مع وجود الأدوات السطحية يزيل النص عن نصيته.

ومما اتضح أيضا أن الروابط السطحية لا تعطي تفسيرات دلالية لترتب النص، أو إخراجه بكيفية مخصوصة، وإنما ذلك هو من مستلزمات الحبك النصي، مع الإشارة قبل كل ما تقدم أن الحبك هو الاصطلاح الأنسب مثلما ذهب إليه بعض الباحثين، إلّا أن هذه الدراسة قد عضدت ببعض الأدلة في اختيار هذا المصطلح.

اما في المفهوم العام لغاية هذا النص ففي ضوء هذه الدراسة، يمكن القول إنّ صاحب النص لم يبادر إلى نصه هذا بغية التحسر على ما فاته من أمر الخلافة، بقدر ما أراد أن يميط اللثام عن حقائق، ربما لم يشهدها، أو التبس أمرها على من كان في ساحة الخطاب، مبينا أسباب صمته في الدفاع عن حقه، بأسلوب يرقى إلى غاية الدقة والارتباط والتماسك بين جمل النص، مما آل إلى منع تقديم إحدى الجمل على الأخرى، فاحتبك أوله بآخره، ومقاله بمقامه.

الهوامش

١. ينظر: نسيج النص: ١٤- ١٦، نحو آجرمية للنص الشعري- دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، بحث: ١٥٣، والنحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص مثل من كتاب سيبويه، الدكتور يوسف سليمان عليان، بحث: ١٩١- ١٩٥.

٢. ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي: ٧٥ الهامش (١٣٥).

٣. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

٤. المصدر نفسه: ١٠٢.

٥. ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد: ٧١.

٦. ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٩٩.

٧. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣، ولسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، محمد الخطابي: ١١-٢٥، ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠٦- ١٣٩، ومدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي: ٨٦- ٩٦، وأصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، رسالة ماجستير، عبد الخالق فرحات شاهين: ٥٤.

٨. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣، النص والخطاب والاتصال: ٧١، ولسانيات النص مدخل إلى انسجام النص: ١١- ٢٥، ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠٦- ١٣٩، ومدخل إلى علم النص: ٨٦- ٩٦، وأصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ٥٤.

٩. النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

١٠. المصدر نفسه: ١٠٤.

١١. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٤، واتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص: سعيد حسن بحيري: ١٩٨، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، الدكتور: صبحي إبراهيم الفقي: ١٠٨.

١٢. النص والخطاب والإجراء: ١٠٤.

١٣. ينظر: مدخل إلى علم النص: ١٠٠- ١٠٢.

١٤. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٥، ومعيار الإعلامية لدى روبرت دي بوجراند وتجلياته في القرآن الكريم: دراسة دلالية، بحث منشور، نئ حنان مصطفى ومحمد إخوان بن عبد الله: ٥.

١٥. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣، ولسانيات النص: ٣٤، ونحو آجرمية للنص الشعري- دراسة في قصيدة جاهلية: ١٥٧، وفي مفهوم النص ومعايير نصية القرآن دراسة نظرية،

بحث في مجلة جامعة الموصل: ١٨٤.

١٦. ينظر: النص والخطاب والاتصال: ٧٩.

١٧. البديع في نقد الشعر: ١٦٣.

١٨. المصدر نفسه: ١٦٣.

١٩. مقاييس اللغة: ٢/ ١٣٠.

٢٠. تهذيب اللغة، الأزهري: ٤/ ٦٨.

٢١. التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٦/ ٣٤١.

٢٢. مقاييس اللغة: ٣/ ١٣٦.

٢٣. أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٢٣.

٢٤. ينظر: حبك النص منظورات من التراث العربي، محمد العيد، بحث: ٥٨- ٦٣.

٢٥. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

٢٦. ينظر: لسانيات النص:١٣.

٢٧. ينظر: تحليل الخطاب: ٢٣٣.

٢٨. المصدر نفسه: ٥- ٦.

٢٩. حبك النص: ٥٥.

٣٠. ينظر: مدخل إلى علم النص: ٨٦.

٣١. ينظر: نحو اجرومية للنص الشعري: ١٥٤.

٣٢. النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

٣٣. ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠٢.

٣٤. النص والاخطاب والإجراء: ١٠٣.

٣٥. ينظر: المصدر نفسه، وتحليل الخطاب: ٢٣٤- ٢٣٦، واتجاهات لغوية معاصرة، حسن بحيري: ١٥٢، ومدخل إلى علم النص: ٨٢- ٨٦، ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠١- ١٠٤، وعلم اللغة النصي: ٨، وعناصر الاتساق والانسجام النصي قراءة نصية تحليلية في قصيدة "أغنية لشهر أيار" لأحمد عبد المعطي حجازي، الدكتور يحيى عبابنة والدكتورة آمنة صالح الزعبي بحث في مجلة جامعة دمشق: ٥٣٨.

٣٦. النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

٣٧. هو جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (١٣٢٥م) هو أحد كبار الفقهاء، ويُقال له العلامة حتى كاد يختص لقب العلامة به دون غيره.

٣٨. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم (٦٩ هـ)، صحابي وفقيه وإمام في التفسير، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان النبي محمد (ﷺ) دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه عِلماً وأن يجعله صالحاً.

٣٩. أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل (٧هـ): والبيت من قصيدة طويلة له، هجى فيها علقمة ابن علانة بن عوف، ومدح عامر بن الطفيل، الديوان: ١٤٧.

٤٠. وفي رواية أخرى وفسق آخرون.

٤١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،

الخوئي: ٣/ ٣٤- ٩٥، إنما كانت الإحالة إلى هذه الصفحات لأن صاحب الكتاب لم يذكر الخطبة في موضع واحد وإنما قسمها إلى ستة أقسام، فلا يبدأ بقسم حتى ينتهي من شرح القسم الذي فيه.

٤٢. الصحاح في اللغة: ٤/ ١٥٠٣.

٤٣. وهو "أننا نربط ما يقال بما نعرف، وإن قدرا من المقدرة على الاستدلال يؤول إلى تقاليد وأعراف مرتبطة بنوع الخطاب"، حبك النص: ٥٧.

٤٤. ينظر: تحليل الخطاب: ١٤٥.

٤٥. ينظر: شذا العرف: ٨١.

٤٦. تحليل الخطاب: ١٤٥.

٤٧. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ١٤١.

٤٨. إذ إن أحد الوجوه أن ضمير الهاء في (صاحبها) يعود على الخلافة، ومنهم من يقول إنها تعود على (حوزة). ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣/ ٦٢، وشرح نهج البلاغة، البحراني: ١/ ٤٣٣.

٤٩. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣/ ٦٢.

٥٠. النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

٥١. شرح نهج البلاغة: ١/ ٤٤٧- ٤٤٨، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣/ ١١٤- ١١٥.

٥٢. ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤١٩- ٤٤٨.

٥٣. ذكر الباحث سابقا أننا في هذا البحث لا نتناول الكنايات أو غيرها، إذا قيل إن المراد بـ(ينحدر عني السيل) فيه كناية عن العلوم.

٥٤. ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٤٤٦.

٥٥. المصدر نفسه: ١/ ٤٤٦.

٥٦. ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: ١/ ٥٢١.

٥٧. بحار الأنوار، المجلسي: ٢٢/ ٢٢٢.

٥٩. ينظر: الإمام علي (عليه السلام) وحروب التاويل- دراسة دينية تاريخية عسكرية معاصرة، الحسين أحمد السيد: ٥٨٧.

٥٩. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣/ ٩٠- ٩١.

٦٠. ينظر: حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم، الدكتور علي محمد الصلابي: ١٠٥.

٦١. ينظر: الامام علي وحروب التأويل: ١٣.

روافد البحث

- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، ط/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.
- الإمام علي (عليه السلام) وحروب التأويل- دراسة دينية تاريخية عسكرية معاصرة: الحسين أحمد السيد، ط/ ١، دار العلوم، د- م، ٢٠٠٩م.
- بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي (١١١٠هـ)، ط/ ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ.
- البديع في نقد الشعر: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (٥٨٤هـ)، تح: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، د- ط، الجمهورية العربية المتحدة- وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د- م، د- ت.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، د- ط، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.
- تحليل الخطاب: ج. ب. براون وج. يول، ترجمة وتعليق: الدكتور محمد لطفي الزليطي والدكتور منير التريكي، د- ط، جامعة الملك سعود، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، ط/ ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ٢٠٠١م.
- حقيقية الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم: الدكتور علي محمد الصلابي، د- ط، دار ابن الجوزي، القاهرة- مصر، د- ت.
- ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس (٧هـ)، شرح وتعليق: الدكتور محمد حسين، د- ط، مكتبة الأدب بالجماميزت، د- م، د- ت.
- شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي (١٣١٥هـ)، قدم له وعلق عليه: الدكتور محمد بم عبد المعطي، د- ط، دار الكتاب، د- م، د- ت.
- شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (٦٧٩هـ)، ط/ ١، نور الهدى، قم- إيران، ١٤٢٧هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ)،

تـح: أحمـد عبـد الغفـور عطـار، ط/ ٤، دار العلـم للملايـين- بـيروت، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

- علـم اللغـة النـصي بـين النظريـة والتطبيـق دراسـة تطبيقيـة عـلى السـور المكيـة: الدكتـور صبحـي إبراهيـم الفقـي، د- ط، دار قبـاء للطباعـة والنـشر، القاهـرة، ٢٠٠٠م.

- كتـاب الصناعتين: أبـو هـلال الحسـن بـن عبـد الله بـن سـهل بـن سـعيد بـن يحيى بـن مهـران العسـكري (٤٠٠هـ)، تـح: عـلي محمـد البجـاوي ومحمـد أبـو الفضـل إبراهيـم، د- ط، المكتبـة العنصريـة، بـيروت- لبنـان، ١٤١٩ هـ.

- لسـانيات النـص مدخـل إلى انسـجام النـص: محمـد خطـابي، ط/ ١، المركـز الثقـافي العـربي، بـيروت، ١٩٩١م.

- مدخـل إلى علـم النـص ومجـالات تطبيقـه: محمـد الأخـضر الصبيحـي، د- ط، الـدار العربيـة للعلـوم، الجزائـر، د- ت.

- مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريـب: جمـال الديـن ابـن هشـام الأنصـاري (٧٦١هـ)، قـدم لـه: حسـن حمـد، أشرف عليـه: إميـل بديـع يعقـوب، ط/ ١، دار الكتـب العلميـة، بـيروت- لبنـان، ١٩٩٨م.

- مقاييـس اللغـة: أبـو الحسـين أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا (٣٩٥هـ)، تـح: عبـد السـلام محمـد هـارون، د- ط، دار الفكـر، د- م، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- منهـاج البراعـة في شرح نهـج البلاغـة: المحقـق الحـاج مـيرزا حبيـب الله الهاشـمي الخوئـي، ضبـط وتحقيـق: عـلي عاشـور، ط/ ١، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت- لبنـان، ٢٠٠٣م.

- نحـو النـص اتجـاه جديـد في الـدرس النحـوي: الدكتـور أحمـد عفيفـي، ط/ ١، مكتبـة زهـراء الـشرق، القاهـرة، ٢٠٠١م.

- نسـيج النـص بحـث في مـا يكـون بـه الملفـوظ نصـا: الأزهـر الزنـاد، ط/ ١، المركـز الثقـافي العـربي، بـيروت، ١٩٩٣م.

- النـص والخطـاب والاتصـال: الدكتـور محمـد العبـد، د- ط، الأكاديميـة الحديثـة للكتـاب الجامعـي، القاهـرة- مـصر، ٢٠١٤م.

- النـص والخطـاب والإجـراء: روبـرت دي بـو جرانـد، ترجمـة الدكتـور تمـام حسـان، ط/ ١، عـالم الكتـب، القاهـرة، ١٩٩٨م.

الرسائل والأطاريح

- أصـول المعايـير النصـة في الـتراث النقـدي والبلاغـي عنـد العـرب، رسـالة ماجسـتير، عبـد الخالـق فرحـان، جامعـة الكوفـة، ٢٠١٢م.

البحوث

- اتجاهـات لغويـة معـاصرة في تحليـل النـص: سـعيد حسـن بحـيري، مجلـة علامـات في النقـد، السـعودية، المجلـد (١٠)، الجـزء (٣٨)، ٢٠٠٠م.

- حبك النص منظورات من التراث العربي: محمد العبد، مجلة فصول، مصر، العدد (٥٩)، ٢٠٠٢م.
- عناصر الاتساق والانسجام النصي قراءة نصية تحليلية في قصيدة "أغنية لشهر أيار" لأحمد عبد المعطي حجازي: الدكتور يحيى عبابنة والدكتورة آمنة صالح الزعبي، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٩)، العدد (١+٢)، ٢٠١٣م.
- في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن دراسة نظرية: أ. د. بشرى حمدي البستاني وم. د. وسن عبد الغني المختار، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد ١١، العدد ١.
- معيار الإعلامية لدى روبرت دي بوجراند وتجلياته في القرآن الكريم دراسة دلالية: نئ حنان مصطفى ومحمد إخوان بن عبد الله، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، د- م، العدد الأول، السنة العاشرة، يونيو/ ٢٠١٨م.
- نحو آجرمية للنص الشعري- دراسة في قصيدة جاهلية: سعد مصلوح، مجلة فصول، مصر، المجلد (١٠)، العدد (١+٢)، ١٩٩١م.
- النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص مثل من كتاب سيبويه: الدكتور يوسف سليمان عليان، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (٧)، العدد (١)، كانون الثاني ٢٠١١م.